فتح الودود
شرح حائية أبي بكر بن أبي داود

الشيخ رزيق بن حامد القرشي
-حفظه الله تعالى-

http://ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوْذُ بالله مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(1)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(2)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(3)

أمّا بعدُ :

فإنَّ أَصْدَقَ الكلامِ كَلامُ الله وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلَّم - ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار .

أيُّها الإخوة والأخوات ، أعتذر عن عدم تمكني من الدرس الماضي يوم الخميس ، وأيضًا أعتذر عن التأخر الآن لما طرأ من ذلك ، كنت قبل ذلك في درس ، فأعتذر أيُّها الإخوة .

نحن وصلنا في هذا الكتاب وهو " فتح الودود شرح قصيدة أبي بكر بن أبي داود " إلى باب " الردّ على الجهمية " .

قال المؤلف - رحمه الله – وهو " أبو بكر بن أبي داوود " في قصيدته :

وقد ينكرُ الجهميُّ هذا وعندنا بمصداق مـــــــــــا قلنا حديثٌ مصرِّحُ

رواهُ جريرٌ عن مقـــــال مُحمَّدٍ فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجحُ

---

1) سورة آل عمران ، الآية : 102
2) سورة النساء ، الآية : 01
3) سورة الأحزاب ، الآيتين : 70 ، 71

يقصد المُصنِّف بهذا :

أنّ إنكار الرؤية مذهب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، والحديث الذي رواه جرير بن عبد الله – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – - يعني الحديث المُتقدِّم في إثبات الرؤية - قول النبي – صلى الله عليه وآله وسلم - : (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيتِه فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)(4)

فإن قلتَ بقول أهل السنَّة أن الحديث حجّة في إثبات الرؤية أفلحتَ ونجحتَ ، وإلا فقد قلتَ قولًا عظيمًا وافقت فيه أهل البدع من الجهمية وغيرهم ممن أنكروا رؤية الله – عز وجل – يوم القيامة ، فلذلك نسأل الله - عز وجل - أن يرزقنا الحسنى وزيادة يوم نلقاه - سبحانه وتعالى - .

هذا ثابت عند أهل السنة :

إنكار الجهمية لكثير من الأحاديث التي فيها إثبات تكلُّم الله - عزّ وجل - ، إثبات رُؤية الله - عزّ وجل - ؛ فهذا موجود في كتبهم ، وليس - يعني - أمرًا غامضًا أو أمرًا لا يعرفه الناس أو لا يعرفه العلماء ؛ بل يعرفونه وسبق أن أُلِّف في ذلك مؤلفات وردّ عليهم ردودًا كثيرة - ولله الحمد والمنّة - .

فهذا دَيْدَن أهل السنة والجماعة ؛ وهو كل من ردّ ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو ما جاء في كتاب الله - عزّ وجل - في صفة من صفات الله أو سواءً كانت صفة في القرآن أو كانت صفة في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ثابتة ، فينبرون له ويبيِّنون بطلان ما هم عليه من العقائد ومن الدعوة إلى العقائد الفاسدة وإنكار هذه العقائد الثابتة في كتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وسلّم - ومنها هذه ، أو إنكار الأحاديث أو تأويلها أو شيءٍ ممّا يُخِلُّ بمعناها أو يوجِّهونها إلى غير مُراد النبي - صلى الله عليه وآله وسلّم - .

ثم انتقل بعد ذلك - رحمه الله - إلى إثبات أهل السنة والجماعة صفة اليدين لله - تعالى - في هذا الباب ؛ وهو باب إثبات أهل السنة والجماعة صفة اليدين لله تعالى ، قال أبي بكر بن أبي داود في قصيدته :

وَقَد ينكرُ الجهميُّ أيضا يمينهُ وكلتَا يديهِ بالفَواضلِ تنفحُ

---

[4]) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

صفة اليدين ثابتة بالكتاب والسنة ، وأهل السنة على يقين من ذلك لا يَشُكُون فيه أبدًا ، وهذا بتوفيق الله - جَلَّ وعَلَا - ، ثم بتمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - ؛ فهم يثبتونها إيمانًا بقوله - جَلَّ وعَلَا - : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ([5] ؛ والشاهد هنا : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ([6] ، - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - ، وهذا إثبات في هذه الآية : أن الله - عَزَّ وَجَلَّ – له يَدَيْنِ ، وأيضا يستدلون بأحاديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - العديدة في هذا الباب ؛ ومنها حديث قتادة عن أنس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ - قال : (يُجْمَعُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القيامَةِ فَيَهتَمُّونَ لِذلِكَ ، فَيَقُولُونَ : لوِ استشْفَعْنَا علَى رَبِّنا ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مكانِنَا هذَا ، فيأتونَ آدَمَ ، فيقولُونَ : يا آدمُ ! أنتَ أبو النَّاسِ ، خلَقَكَ اللهُ بِيَدَيْهِ ، وأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ ، وعلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شيءٍ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى ربِّنا ، حتى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هذَا ..) وذكر الحديث بطوله والحديث رواه البخاري ومسلم .

والشاهد هنا : (خلَقَكَ) (خلَقَكَ اللهُ بِيَدَيْهِ) ، فأهل السنة يقولون : بهذا ويثبتون ما أثبت الله لنفسه وأثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم –

ويقفون عند هذا : لا يكيِّفون ولا يعطِّلون ولا يشبِّهون ولا يحرِّفون.

بخلاف أهل التعطيل والتحريف من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، ومن نحى نحوهم من بعض الكُتَّاب في هذا الزمان - نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ بالله من ذلك - ، فلذلك نحن نأخذ عقيدتنا في صفات الله - سبحانه وتعالى – وفي صفاته وفي أسمائه وفي أفعاله نأخذها من الكتاب وما جاء في سنة النبي – صلى الله عليه و آله سلم – بدون تحريف ولا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، ونؤمن بها كما جاءت ونؤمن بما دلت عليه من المعاني ثم نفوّض كيفيتها إلى الله - سبحانه وتعالى - فهو العليم بكيفيتها .

ثم انتقل - رحمه الله – إلى باب آخر وهو :

" إثبات نزول الله - تعالى - بذاته كل ليلة إلى السّماء الدنيا "

---

[5]) سورة (ص) الآية (75)

6) سورة المائدة الآية (64)

قال المؤلف في قصيدته :

وَقُل يَنْـزِلُ الجبّارُ في كُـلِّ ليلةٍ بلا كيف جلَّ الواحدُ المتمـدَّح

إلى طَبَقِ الدّنيا يَمُـــــــــنُّ بِفَضلِه فتفرج أَبـــــوابُ السّماء وتفتَحُ

يقولُ ألا مُستغفِرٌ يلق غـــــافِرًا ومستمنحٌ خيرًا ورزقًـــــا فيمنَحُ

هذه الأبيات الثلاثة تتضمن الحديث عن صفة نزول الربّ - جل ثناؤه - إلى سماء الدنيا ، و قد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة برواية جماعةٍ من أصحاب النبيّ - صلى الله عليه و سلم - ، و من تلك الأحاديث ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

(قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ينزلُ اللهُ إلى السّماءِ الدّنيَا لِشطْرِ الليلِ ، أو لِثُلُثا الليلِ الأخيرِ ، فيقولُ : من يدعوني فأَستجيب له ؟ أو يسألُني فأُعطِيَه ؟ ثم يقولُ : من يُقرِضُ غيرَ عدومٍ ولا ظَلُومٍ ؟) رواه مسلم .

وروى مسلم أيضًا من حديث أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ أنهما شهدا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (إن الله – عز وجل - يمهل حتى يمضي ثلثا الليل ثم يهبط فيقول : هل من سائل ؟ هل من تائب ؟ هل من مستغفر من ذنب ؟ فقال له رجل : حتى يطلع الفجر؛ فقال نعم)(7)

وكذلك عن حديث نافع بن جبير- رضي الله عنه - عن أبيه - رضي الله عنه -عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (يَنزِلُ اللَّهُ – عَزّ وجَل - إلى سَماءِ الدُنيا فِي ثُلُثَ اللَّيلَ فَيَقُول : - أي يَعنِي فِي ثُلُثَ اللَّيلِ الأَخِير- فَيَقُول : هَل مِن تَائِبٍ فَأَتُوبُ عَلَيه ؟ هَل مِن دَاعٍ فَأَستَجِب لَه ؟ هَل مَن مُستَغفِرٍ فَأَغفِرُ لَهُ ؟ قَالَ ذَلِكَ كُل لَيلَة) 8)
(

وقوله بلا كيف : أي بلا كيف يُعلم ؛ فلذلك سبق أن قلنا أن أهل السنة يفوضون الكيفية ، ويؤمنون ويعلمون المعنى للصفات وللأسماء ، فلذلك قال هنا : بلا كيف ؛ أي بلا كيف يُعلم هذا شأن جميع الصفات ؛ فإنه لا يَعلم كيفيتها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ

[7]) رواه مسلم
[8]) رواه أحمَد والنَّسائِي فِي عَمَلِ اليَومِ واللَّيلَة والطَّبرَانِي فِي الكَبِير.

ويعني بقوله إلى طبق الدنيا : أي إلى السماء الدنيا كما قال الله -عز وجل - ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّـهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾(9)

وهذا النزول ثابت ، وهذا النزول معلوم - ولله الحمد - وأهل السنة يؤمنون به ، والمُوَفَّقُونَ يقومون في هذا الوقت ؛ وهو ثلث الليل الأخير يدعون الله - عز وجل - كما أمرهم بذلك ويستغفرونه ويجددون العهد ويتوبون إلى الله - عز وجل - و يسألونه من فضله - سبحانه وتعالى - ، فلذلك أهل البدع و من جهمية ومعتزلة ينكرون هذا ، بل ويقولون أن أهل السنة يُجسِّمون و يشبهون والى غير ذلك مما يَرُدُّون به هذه الأحاديث الثَّابتة في سنة النبي - صلى الله عليه و آله وسلم - .

ولذلك نحن ندعو إخواننا وأخواتنا في هذا المعهد المبارك ؛ وهو

" معهد الميراث النبوي " أن يأخذون عقائدهم من كتاب الله ومن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأن يدرسونها على أهل العلم ؛ على أهل العلم السلفيين ، لا على كل من هبَّ ودبّ ، هذه عقيدة تُقبِلُ بها على الله - عز وجل - فلتكن صافية على كتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -.

ثم انتقل المؤلف - رحمه الله – إلى هذه الأبيات الأخرى التي فيها الثَّناء على أهل الحديث ؛ وهذا باب في الثَّناء على أهل الحديث.

قال الناظم في قصيدته :

---

9) سورة نوح [آية : 15]

روى ذاك قوم لا يُرد حديثهم ألا خاب قوم كذبوهم وقُبِّحُوا

هذه الأحاديث الواردة في الأسماء والصفات رواها عدول ؛ رواها عدول من الصحابة - رضي الله عنهم - ثم نقلها العدول إلى أن وصلت إلينا وهي رواية عدلٍ ثقةٍ عن من قبله إلى أن وصلت وهي على ما هي عليه ولله الحمد والمنة ، وقصد المصنف بذلك رواة الأحاديث الذين رووا أحاديث النزول وأنهم كلهم ثقات عدول ، ومن أولئك الرواة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنهم : " أبو بكر الصديق " و"علي بن أبي طالب "، و"عبد الله بن مسعود " و"عبادة بن الصامِت " و" رِفاعة بن عَرَابة " و" جابر بن عبد الله " و" عثمان بن أبي العاص " و " أبو الدرداء " و" أنس بن مالك " و"عمر بن عَنبَسةَ " و" أبو موسى الأشعري "وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين .

فنقول كما قال الإمام أبو بكر بن أبي داود - رحمه الله - :

ألا خاب قوم كذبوا هؤلاء الأئمة الأعلام من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ألا خابوا وقُبِّحوا ؛ فلذلك الطعن في أصحاب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ليس وليد اليوم وإنما الطعن قديم من أهل البدع لإسقاط نقلة أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – التي لم يؤمن بها هؤلاء ولم يصدقوا بها فلذلك عمدوا إلى الطعن في الصحابة ، في الرواة وغيرهم من الثقات ، يطعون فيهم لإسقاط حُجِّيّة الأحاديث المروية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الشأن العظيم ؛ فلذلك شابهوا هؤلاء وشابهوا الروافض في طعن في الطعن في أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – الذين هم عدول ؛ الذين شهد الله – عز وجل – لهم في القرآن وشهد النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لهم ، فالله - عز وجل - شهد لهم في القرآن بقوله - عز وجل - : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (10) ؛ يكفيهم بذلك فخرًا أن قال الله عنهم – عز وجل - : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ؛ فما يطعن في أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا مفتونٌ رافضيٌ والنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول في الحديث : (لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه)(11) ؛ ولذلك أهل السنة وعلماء السلف يرون أن الطعن في أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –والطعن في رواة الأحاديث والطعن في أهل الإسلام والملة طعنٌ في الدين وسعيٌ إلى إسقاط شهودنا على عقيدتنا فلذلك لابد أن يتنبه السلفي ؛ لابد أن يتنبه لهذا وأن يتعلم هذا من كتاب الله والسنة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –

---

[10]) سورة آل عمران [الآية : 110]

[11]) الراوي : أبو سعيد الخدري المحدث : الألباني المصدر: صحيح أبي داود [رقم : 4658]

أكتفي بهذا القدر وأسأل الله - عز وجل – أن يوفقنا وإياكم لكل خير وأن يثبتنا وإياكم على الحق وأن ينفع بنا وبكم الخلق إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.